http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1519) السنة السادسة - الخميس (28) أيـار 2009

مـــن مـفـكـرة امـــــرأة مـغـتربـة

سـمـيـرة المـانـع

١٩٦٥/٧/٣

أطأ هذه الأرض لأوّل مرة أشعر بالاختلاف تدريجيا، وببطء شديد، أحاول تحسّس معظم ما أراه. تمر المشاهد أمامي كشريط حلم في النوم يستيقظ فجأة على ضجة الضوضاء أتعرّف عليها في روايات مترجمة بأقلام ابناء هذا البلد وربما قرأتها يوما وقد تنبهت الآن. عجبا هل أتمكن من الوصول إلى العنوان في حقيبتي اليدوية، ازددت تمسّكا بها تحت أبطي وحملت باليد اليمنى حقيبة متاعنا بينما أبنتي ذات الخمس سنوات تتشبث بذراعي اليسرى.. لسنا هائمتيْن في العراء بالتأكيد، هناك إشارات لا تعدّ ولا تحصى في ممرات وقاعات المطار الفسيحة، لكني عاجزة عن فهم ما تعني ينطبق عليّ المثل العراقي «مثل الاطرش بالزّفة»، لا بأس تمكنتُ من الاصطفاف مع غيري في الطابور، بعد أن تفرّست في ملامح الوجوه حولي، مطمئنة من أنها هي نفس الملامح الهابطة معي من الطائرة في مطار هيثرو بلندن قبل لحظات.

بعد الانتهاء من استفسارات موظف الجوازات البريطاني، ببعض شق نفس، نجوت منه سالمة، منفرجة الأسارير سرعان ما هرعت بعيدة عنه قدر ما استطيع لأتجنبه وأنساه، (كان عام ١٩٦٥ وبريطانيا لا تعقد حاجبيها بالتفكير عند رؤيتها المفلسين المقهورين القادمين من العراق، لم تظهر فظاعة الصورة بعدُ، العراقيون المتواجدون فيها قلائل، فكرة اللجوء السياسي أو المساعدة الإنسانية لا تخطر بالبال أو يفكربها أصلا هؤلاء القادمون الأفراد) العيش، اليوم، مسؤوليتي بمجرد أن أخرج من بناية المطار كله يتوقف على تدبيري وحكمتي كي أجد وسيلة للوصول إلى مبتغاي فيها.

عوّلتُ على أربع كلمات إنكليزية مهمة في نظري، استقيتها من قاموس (الياس)، هي Please، thank you، sorry، and Goodbye، مع ثلاث جمل تبتدئ بعبارات الاستفهام الضرورية لأسئلتي، تزودت بها للمعرفة والتفاهم مع مَنْ حولي ببريطانيا لولا أن الناس في قاعة المطار، متسارعون جيئة وذهابا. يحبطون مسعاي بإيقافهم استعمالها.. كيف أبدأ بسؤالهم عما يدور في ذهني؟ شاهدتُ، مصادفة، من بعيد، عتالا للحقائب، متكئا على عربته المطلوبة، نبقى في مكاننا، أشار لي، عدة مرات مؤكدا، هكذا اعتمدنا عليه في ترحالنا وسيرنا بخطواتنا التالية لنلتحق به في الحافلة الثانية.

أخيراً، عند الوصول، ووقوف الحافلة، وأنا حريصة على طفلتي أكثر من حرصي على حقيبة متاعنا، تبرع هذا الشخص الطيب هذا العنوان؟ مع ذلك، ورغم خيبته في رزق يأتيه مني، تحمّلني المسكين وبدا كريما معي صبورا، عرف جهلي ومحنتي بحكمة إنكليز يشيحون بوجوهم كأبي الهول أثناء الكلام الفارغ، اللافائدة منه، ويعطفون ويساعدون، فقط ، الضعيف والمنكوب من الانسان والحيوان.

أشار لي بحركات من يديه وعينيه المعبرتين المهتمتين أن أسير بهذا الاتجاه، وكان الطريق المعني الشارع العام. مع ذلك تريثت واقفة قربه، على أمل أن تخرج من بين شفتيه كلمة أخرى مفيدة صالحة لي وإذا به يتفوه بكلمة (باص) فاضت مشاعري تجاهه، التقطتُ أنفاسي، تمنيت مصافحته بعد استعمال كلمة Thank you، طبعا، لشكره مع كثير من المودة والامتنان. اسرعتُ بهذه النفسية المتفهمة المنتعشة، التقط حقيبتنا وأشدُ على يد طفلتي لننطلق، كما لو كنت على بصيرة من أمري ودربي، وجدتُ موقعا لحافلة نقل ركاب قريبة من باب المطار.. هيا، هرولنا اليها مسرعتين قبل أن يفوتنا شيء قادم، ناسية أن رقم الحافلة ضروري في مثل حالتنا. لكن لاضطرابي وخوفي صرت أحسّ أن مجرد رؤية باص أحمر أليف يسير، في شوارع لندن، سيرد عليّ روحي وطمأنينتي.. يذكرني بما اعتدتُ على الركوب فيه من باصات في الماضي ببغداد، عند ذهابي وأيابي من البيت إلى الكلية، جلبت بريطانيا لنا الحافلة الحمراء بعد الحرب العالمية الثانية وكانت خير شاهد الآن.

سيدة جالسة قربنا تحت مظلة انتظار الحافلة، قعدنا جنبها حانت مني التفاتة ليديها فوجدت أظافرها مطلية باللون الأخضر الفاقع، دهشت ثم أطرقت للمنظر، بدأ شعوري يتكون منذ تلك اللحظة أن الناس أحرار هنا، حتى في صبغ أجسادهم بما يحلو لهم من تشوهات بالنسبة لمقاييسنا، على العكس مما يحصل بالعراق، فنحن لدينا أجساد لكن لا نملكها، بالمقارنة.. على أية حال، نسيتُ المرأة كلية بعد دقيقة، صعدنا الحافلة التي وصلت لموقع الانتظار، كان مشوارنا، على ما يبدو، طويلا، خصوصا بعد أن أرشدنا أحد الجالسين الراغبين في مساعدتنا، كي نأخذ حافلة أخرى. بدأ يكتب رقم الحافلة لنا على قصاصة أخرجها من حقيبته الصغيرة متعاطفا مع منظرنا الحائر المرتبك، منبها إياي بالإشارات أثناء سير الحافلة للتفاهم في نفس الوقت، لحسن الحظ، معظم الجالسين في الحافلة التفتوا الينا، بسبب لغطنا، وإذا بأحدهم ينبري مؤكدا بالاشارات أيضا، إنه سينزل في المحطة التي أريدها ولذا علينا أن ننتظر معه وننزل مرة أخرى لنأخذ الحافلة الهابطة معي من الطائرة في مطار هيثرو بلندن قبل لحظات.

بعد الانتهاء من استفسارات موظف الجوازات البريطاني، ببعض شق نفس، نجوت منه سالمة، منفرجة الأسارير سرعان ما هرعت بعيدة عنه قدر ما استطيع لأتجنبه وأنساه، (كان عام ١٩٦٥ وبريطانيا لا تعقد حاجبيها بالتفكير عند رؤيتها المفلسين المقهورين القادمين من العراق، لم تظهر فظاعة الصورة بعدُ، العراقيون المتواجدون فيها قلائل، فكرة اللجوء السياسي أو المساعدة الإنسانية لا تخطر بالبال أو يفكربها أصلا هؤلاء القادمون الأفراد) العيش، اليوم، مسؤوليتي بمجرد أن أخرج من بناية المطار كله يتوقف على تدبيري وحكمتي كي أجد وسيلة للوصول إلى مبتغاي فيها.

عوّلتُ على أربع كلمات إنكليزية مهمة في نظري، استقيتها من قاموس (الياس)، هي Please، thank you، sorry، and Goodbye، مع ثلاث جمل تبتدئ بعبارات الاستفهام الضرورية لأسئلتي، تزودت بها للمعرفة والتفاهم مع مَنْ حولي ببريطانيا لولا أن الناس في قاعة المطار، متسارعون جيئة وذهابا. يحبطون مسعاي بإيقافهم استعمالها.. كيف أبدأ بسؤالهم عما يدور في ذهني؟ شاهدتُ، مصادفة، من بعيد، عتالا للحقائب، متكئا على عربته المطلوبة، نبقى في مكاننا، أشار لي، عدة مرات مؤكدا، هكذا اعتمدنا عليه في ترحالنا وسيرنا بخطواتنا التالية لنلتحق به في الحافلة الثانية.

أخيراً، عند الوصول، ووقوف الحافلة، وأنا حريصة على طفلتي أكثر من حرصي على حقيبة متاعنا، تبرع هذا الشخص الطيب بحمل حقيبتنا كي يخفف عني العناء، أوصلنا للعنوان، مشكورا، في دار يسكن فيها زوجي وقد سبق أن ألححت عليه كي يغادر العراق قبل ما يقرب من سنة على أمل أن ألتحق به بعدئذ.

١٩٦٥/٧/٤

استيقظنا صباحا مبكرين، على زقزقة عصافير تأتي من شباك وحيد في الغرفة الصغيرة المؤجرة لزوجي.. بقينا في الفراش نكمل أحاديثنا عن العراق، الأهل، الأصدقاء، النقود، حاجتنا للتفتيش عن مسكن خاص بنا، كون صاحبة الدار التي آوتنا وأطعمتنا البارحة تتبع القانون البريطاني الذي لا يسمح لها بتأجير غرفتها إلا لساكن واحد، أطنب زوجي في مدحها والثناء على حسن سيرتها ولم أكن بحاجة لذلك خصوصا إذا ما تذكرت معاملتها لنا البارحة، من دون لغة، ولا معرفة سابقة، لكن هذا لم يمنعها من أن تتولى حمايتنا وتفتح بابها لتدخلنا غرفة الضيوف عندها. قدمت عشاء لنا إلى أن عاد زوجي في العاشرة ليلا من الخارج، متفاجئا برؤيتنا ولم يكن يعلم باليوم والساعة لوصول طائرتنا لصعوبة الاتصالات الهاتفية به حينها، وهو لا يملك هاتفا خاصا به في غرفته.

١٩٦٥/١٢/٢٣

أرى اكتظاظ المتسوقين في المخازن والأسواق، ازدانت الشوارع بالزينة والمصابيح الملونة والبيوت باشجار عيد الميلاد المتألقة بالاضواء. فهمت أنهم بصدد الاحتفال بأعياد رأس السنة الميلادية الجديدة، أصرّت ابنتي، وهي الآن طالبة بالمدرسة حسب نظام التعليم هنا والذي يحتم على الوالدين ارسال ابنائهم اليها ابتداء من سن الخامسة، راغبة أن نشتري لنا شجرة عيد ميلاد في بيتنا، كغيرنا، لتزيّنها مثل صديقاتها ورفيقاتها في المدرسة.

لن أنسى منظر أول شجرة عيد ميلاد في بيتنا. كيف ابتهجنا برؤيتها عندنا وسرور ابنتنا الخيالي الذي أتاح لها أن تفرح كغيرها من الاطفال. صعدت سيدة الدار، كما يسمّونها هنا، والتي كانت تسكن في الطابق السفلي ويداها تحملان هدايا لعب لابنتنا بالمناسبة، مع دعوة لنا كي نزورها صباح يوم عيد الكرسمس بعد يومين.. سألتنا وهي خارجة من شقّتنا، بعد توديعنا:

– هل أنتم مسيحيون؟ اعتقدتكم مسلمين.

تساءلت حين شاهدت شجرة عيد الميلاد مضاءة، أثناء خروجها.. أجبتها، طالبة من زوجي أن يترجم ردي بدقة:

– نحن مسيحيون في أعياد المسيحيين، ومسلمون في أعياد المسلمين، أما إذا تحاربا فنحن لسنا من هؤلاء ولا هؤلاء.

١٩٦٧/٦/٧

تعلّم اللغة الانكليزية مثل تعلّم السباحة، يوماً أغرق باليّم، ومرة أخرى أنجو بإعجاز، أتجنب لقاء صاحبة البيت كي لا أضطر للحديث معها وأحرج بالأخطاء، اكتشفت هذه المرأة، بفطنة يقظة، حالتي فأعطت زوجي مذياعاً عتيقاً مهملاً عندها حين ذهب لدفع الايجار الشهري.

سررت كثيرا به ووضعته في المطبخ، استمع الى إذاعة إنكليزية يسمونها كما قيل لي العمة لشدة حرصها على إرضاء جميع السكان المتكلمين بهذه اللغة في كل أنحاء العالم ويطلق عليها ألB.B.C، بدأنا نجلب صحيفة يومية كل يوم أقرأ فيها أخبار منطقة الشرق الاوسط برمتها.. أتابعها بحرص وكأنني أتحدث مع أحد يعرفني، ملتجئة اليها لشدة عزلتي واغترابي.

فترة متعبة قلقة، اندلعتْ قبل شهر حرب الايام الستة بين العرب واسرائيل. استمعت للاذاعات العربية وهي تهدر بالكذب على المستمعين، علمتني أن أتحفظ عليها، بعدئذ.. ليس هناك مَنْ يتحدث العربية إلا نادرا ولا أعثر على مواد غذائية بالسوق معتادة عليها تأتي من تلك البلدان، متأسفة وكئيبة بسبب التسوق من تلك المخازن، تتكدس على رفوفها معلبات للبشر والحيوانات على السواء.

تنتشر البطاطة والجزر واللهانة بشكل ممل، مزعج، أما منظر الدجاج الابيض المعلق المذبوح في مخازن اللحم فيسبب لي صدّ شهية للأكل بالاضافة للاطعمة المجمدة.

١٩٦٩/١/٢١

في الطريق، وأنا عائدة للبيت شاهدت مخزن بائع للصحف وقد وضع على لوحة اعلانات دكانه صحيفة اليوم، كانت صحيفة مسائية خُطّ على صفحتها الأولى عنوان ضخم: «إعدام في الساحة العامة ببغداد»، وقفت قربها وقلبي يدق فزعا، تبين بعد أن اشتريتها منه أن هؤلاء المعلقين على أعواد المشانق بالساحة العامة، متهمون بالعمالة وهم خونة للعراق. معظمهم من كبار التجار ومن الصناعيين.

قرأت الصحيفة وحدي مستعينة بالقاموس الموجود قربي على منضدة المطبخ حيرى، شعرت بالخجل من منظر جمهرة العراقيين المتفرجين عليهم كمعرض للزهور وكنزهة في الهواء الطلق للاستمتاع.

١٩٧٠/٦/٢٣

وقفت حذو السياج مع جارتي القبرصية، بعد أن اشترينا بيتاً صغيراً في ضواحي لندن فيه حديقة حاولت زرعها بنباتات تذكرني بمنطقة الشرق الأوسط، استعنتُ بجارتي القبرصية وزوجها الذي كان فلاحا في قبرص قبل تشريدهما وهجرتهما إلى بريطانيا بسبب النزاع الديني القومي فيها.

بعد فترة وجيزة، بدأت تنمو عندنا، أيضا، شجرة متسلقة للعنب جميلة حسناء، كذلك أعطياني، في الخريف الماضي، ساقا من فرع غصن لشجرة توت عندهما ليصبح الغصن في الخريف متجذرا، عندي، مستندا على عصا منتصبا كشجرة فارعة الطول تحظى بالاحترام، أخبراني أن هناك أملا كبيرا في أنها ستثمر في العام القادم. امتلأت بالغبطة والاعتزاز.

تصادقنا أنا والجارة المشاركة.. كنا نقف لنتحدث معا ساعات، عبر السياج، نتذكر وطننا فنشعر بمأساة تنغص علينا حياتنا ونشاطاتنا في الحديقة، ذكراه تمنعنا من التمتع كلية بجمال ربيع لندن وانتشاع شتائها الكئيب الطويل وبهجة ما ينمو في حديقتنا من ورود وخضروات.

قالت لي وكانت متألمة على وطنها المقسم وشعبها المهدد بالعنف لتنهي كلامها متألمة معلقة قبل أن نعود إلى داخل بيتينا منكسفتين حزينتين: «كم يكتشف الإنسان من أشياء للخلاص من أمراض فتاكة كالكوليرا والسل والجدري وغيرها، لكنه لم يتمكن، حتى الآن، من اكتشاف شيء للقضاء على العنف والحروب وسفك الدماء».

١٩٧٠/١١/١

اجتزت اختبار سياقة السيارة. أستطيع الآن أن آخذ ابنتي، التي صار عمرها عشر سنوات، إلى المدرسة أو لزيارة صديقاتها البعيدات، كنا مرة في الطريق نصغي للمذياع اثناء السير، فاجأتني بالسؤال:

– ماما ما معنى الـ IRA؟

بعد أن سمعت المذيع وهو يتحدث عنها، أجبتها:

– هذه منظمة الجيش الجمهوري الايرلندي تحارب بريطانيا كي تحصل على استقلالها وتنضمّ إلى ايرلندا الجنوبية، كما تسمعين.. لا يقبلون أن يدخلوا في مناقشة سياسية لفض المشكلة بدل الصراع المسلح والقتل والتفجيرات.

– ولماذا يتحاربون؟

– آوه، قصة طويلة، يريدون الانفصال عن بريطانيا والانضمام إلى ايرلندا الجنوبية لأنها مثلهم كاثوليكية، ولكن يعيش معهم في الشمال بروتستانت ومعظمهم اسكتلنديون يرفضون ذلك فهم لا يقبلون الانضمام إلى الجنوب، مفضلين البقاء مع بريطانيا لأنها مثلهم بروتستانت، هذا هو الصراع الدائر بينهم الآن.

نظرتُ إلى وجهها في الخلف بمرآة السيارة امامي، نظرة خاطفة لأرى ردود أفعالها بعد شرحي. هل استوعبت الفكرة ترى؟ فهمتْ ما أعني؟ أرى عينيها تنظران إلى لا شيء، صمتتْ تهضم الفكرة، باعتقادي.. بروتستانت، كاثوليك، ايرلندا الشمالية، ايرلندا المستقلة، مفردات طارئة على قاموسها البريء لا يخطر ببال الطفل استعمالها.. أردت أن اطمئنها فقلت:

– بالمناسبة، كلهم متشابهون، معظمهم بيض وشقر وعيون ملونة.. لا يوجد أي اختلاف في أشكالهم.

– كيف عرفوا، إذن، أنهم مختلفون؟

– أحدهم قال لهم ذلك.

– هؤلاء مضحكون.

قالتْ مشيحة بوجهها، متطلعة لرؤية الطريق عبر نافذة السيارة حالها حال أي انسان قبل أن يتلوث بالتعصب على مهل، لا يمكن معرفة متى تصبح ابنتي متعصبة أيضاً، قضية لا تفهم الآن.

(بعد ثلاثين سنة، كما نعرف، قال جيري آدم، الناطق الرسمي باسم الجيش الجمهوري الايرلندي: «إنه وقت للسلام وللمحادثة» في الشهر السادس من عام ٢٠٠٥).

«بودولينو» لـ أمبرتو إيكو

هـيـكـل واهٍ يـبـعـثـه شـبـح فـكـرة لامـعـة

ترجمة: نجاح الجبيلي

وصف «إيتالو كالفينو» «التقليد العميق الجذور للأدب الإيطالي.. فكرة العمل الأدبي كخارطة للعالم والأشياء الممكن معرفتها والكتابة التي يحفزها التعطش إلى المعرفة التي قد تكون بالنتيجة لاهوتية، تأملية، سحرية، موسوعية..»، كان يتكلم عن «دانتي» صاحب الرؤية وغاليليو الرسام الكوني لكنه هو وأمبرتو إيكو كانا يعملان بالدوافع نفسها.

إن رواية «بودولينو» لأمبرتو إيكو التي تدور أحداثها في أثناء نهب القسطنطينية عام ١٢٠٤ تشتق من بوكاشيو شكلها الذي يتكون من قصص تروى خلال الأزمة، لكنها تشترك أيضاً بأمور مع الفنتازيا الخرافية لمدن كالفينو الخيالية.. إنها تاريخ حياة «بودولينو» وهو كذاب يعترف على نفسه، يرويها لمؤرخ بيزنطي هو «نيكيتاس جونياتس»، إنها رواية لإيكو ولبودولينو ولحكواتيي العالم القديم- محبوكة في تاريخ الحملة الصليبية الرابعة.

يوجد في مركز الرواية تصوّر متألق عن كيفية صنع العقل الإنساني عالمه، إنها فحص للحاجة العميقة للقصص التفسيري- الأساطير، الخرافات، السجلات التاريخية، التقاليد العائلية، العلم- والمؤلفات ذات الشفرات والطبقات التي تشبه الأسلوب القروسطي في تفسير الكتاب المقدس بقدر ما تشبه السيميائيات الحديثة، إنها تلتفت مثل الدين المسيحي إلى مسائل الأبوة وحضور الروح السماوية في موضوع مثل الدم والخمر في القربان المقدس.

يعيش «بودولينو» رومانس (قصة غرام) عائلي فرويدي. مع أنّ أباه «غاليودو» مزارع إيطالي، إلا أنه يحكي كيف أصبح الابن المتبنى المفضّل لإمبراطور الرومان المقدس «فريدريك باربروسا».

يقع في حب زوجة باربروسا «بيتريس من بورغندي» – في الموقف الكلاسيكي للحب العذري العفيف والرغبة البعيدة- وهو نوع من الهوى ينمو على الخيال والابتكار. يكتب القصائد لشاعر يعشق امرأة خيالية لم يرها أبداً، يتزوج مصادفة فتاة عمرها خمس عشرة سنة تموت أثناء الولادة وتنجب مسخاً ميتاً حقيقياً.

ينعكس رومانس العائلة الشخصي في مستوى آخر في الصراعات اللاهوتية غير المنتهية للعصر حول العلاقة الدقيقة بين الثالوث المقدس، الأب والابن والروح القدس والطبيعة الدقيقة لجسد العذراء والابن وطبيعة حضور الإله الميت في دم وخمر القربان المقدس. هذا هو ميدان «إيكو» وتكون الجدالات مفصلة تتعمد الغموض، هزلية ومربكة بشكل ذكي.

يمتد الرومانس العائلي ليشمل رومانس السفر ورومانس الأسطورة ورومانس الرغبة. إن «بودولينو» هو مزوّر الروايات –فقصصه حول الحب تشبه قصص «سيرانو»- فهو يختلق رسالة من «برسترجون» الأسطوري، حاكم أرض خرافية بعيدة ويخترع خرائط خيالية للعالم المعروف أو التأملي ويتورط في تجارة الرفات الزائفة – العديد من الرؤوس المجففة ليوحنا المعمدان، مسامير الصليب الحقيقي وأخيراً الكأس المفقودة، الكأس المقدسة، كأس العشاء الأخير التي يختلقها «بودولينو» باستعمال وعاء خشب كان أبوه الميت يشرب منه.

قال «ترتوليان» عن القصة المسيحية: «أؤمن بها لأنها مستحيلة». جادل اللاهوتيون أيضاً أن رغبتنا في الإله برهان على وجوده. يقوم «بودولينو» مع مجموعة من رفاق السفر- شاعر يعشق امرأة لامرئية، حاخام يهودي يبحث عن قبائل مندثرة، عالمان يتنازعان حول وجود الغراغ، كاهن بغيض يدعى «زوسيموس»- يقوم باستدعاء «برسترجون» وأرضه الخيالية إلى الوجود ببساطة إذ ينطلق بالبحث عنها، ويتبعون خرائطهم المزورة ورسالتهم الملفقة.

يلتقون بمسوخ خيالية-عمالقة ومخلوقات ذات عيون على أثدائها وزواحف تثب على قدم واحدة ومخلوقات جميلة نصف عذراء ونصف معزة- مخلوقات خارج الرحلات الخيالية لماندفيل، تتحول مجسمة في هذه الحكاية. وتدخل هذه المخلوقات في جدالات حول جوهر الابن والأب حيث الحقيقي والخيالي يعكس أحدهما الآخر.

إن فكرة الفراغ هي أيضاً جزء من هذه العبارة المجازية المعقدة ذات الطبقات المتعددة: «الطبيعة تكره الفراغ» والأشياء تندفع داخل فجوات الفراغات المخلوقة، في الدورق والعقل نفسه، لو لم يوجد الرب لكان من الضروري اختراعه.

إن «إيكو» دارس لتشكيلات المواهب الإبداعية التي نملأ بها فراغات معرفتنا وتجربتنا، من الهواء إلى الخلايا الحية، من أحلام اليقظة إلى القصائد، من الأكاذيب إلى الأساطير، من الأشياء المزورة إلى المسوخ، ويقدّم موت «فريدريك بارابروسا» كلغز كلاسيكي «للغرفة المحكمة الإغلاق» في القصة البوليسية الحديثة، والتي من المحتمل أن الإمبراطور قد قتل فيها بعدد من الوسائل البارعة ومن ضمنها المكنسة الكهربائية، إننا غير منظمين أيضاً بالطرق الخيالية.

وهنا في هذه القطعة الفنية المؤثرة يكمن الدليل على أن هذه الرواية، كرواية، لا تقترب في تشابهها من النجاح مثلما حصل لرواية «اسم الوردة». قال «إيكو» في إحدى المرات:» إن الحكاية المقنعة جداً قد كتبت لأنه أراد أن يقتل راهباً».

إنها تتماسك لأنها أصبحت في أحد مستوياتها محاكاة ساخرة مستمرة لتحري شارلوك هولمز، وهي تحمل معرفتها الهائلة بخفة، مستعملة إياها كمفاتيح وألغاز محيرة، كقطع فنية مؤثرة وكخلفية غنية، تسر جميع أنواع القراء بصورة طارئة تماماً في لاهوت القرون الوسطى ولدى أرسطو، والنظام السردي والدافع تتيحهما براعة «كونان دويل» وسلسلة الجرائم المتعاقبة الشبيهة بروايات أجاثا كرستي.

لا تمتلك رواية «بودولينو» مرتكزاً في الأشكال المعاصرة أو القريبة من المعاصرة، ولا هي مرتبطة بإحكام بالأشكال القديمة، قصص الديكاميرون أو قصص السفر القروسطية. إنها حكاية حديثة تدّعي المرح وتنتشر عبر الزمان والمكان، الحقيقة والخيال، ومن العجب –بغض النظر عن استهلالها- أنها لا تمتلك صوتاً حقيقياً خاصاً بها.

تبدأ الرواية بمحاولة «بودولينو» الكتابة بلغات ممزوجة مشوهة على رق مسروق جرى تنظيفه بالحك من الوثائق الرسمية للمستشار الإمبراطوري، إذ يبرز بين فترة وأخرى أحياناً بالحرف الأسود حيث كان المسح غير دقيق. هذا الجمع بين اللوح المسوح والعامية المختلطة اللاتينية والإيطالية والألمانية واللغات الأخرى يعطي «بودولينو» المتانة والإحكام اللذين يفتقدهما حين يشرع بالكلام، وهو يتكلم بنوع من الخشونة المندفعة – ويرفع صوته مثل الرومانس التاريخي المشهور في الخمسينيات- وسيطرة المؤلف على تقدم السرد وتوتره أقل إحكاما مما كان في رواية «اسم الوردة».

إن أعاجيب مملكة «جون برستر» ليست مثل أعاجيب «رايدر هاغارد» تماما،مع ذلك فهي ليست محاكاة ساخرة لرايدر هاغارد ولا محاكاة ساخرة لماندفيل. وهي لا تمتلك صوتاً خاصاً بها بل تبقى سطحية ثنائية البعد خيالها ناقص ولا هي متفوقة وملمّحة وذات طبقات. لو دام اللوح المسوح لكان هناك نسيج أكثر، حتى لو كان مزعجاً. إنها نوع فريد من الرواية حيث الأفكار الصعبة تثير الاهتمام أكثر مما يثيره التفاخر المتهور أو الجنس أو الموت أو الأشياء المخيفة، ومن التناقض أن لا ترضي حكاية «إيكو» الأكثر انتشاراً بين القراء من الأذواق إلا القليل- هيكل واه ينفخ فيه الحياة شبح فكرة لامعة.

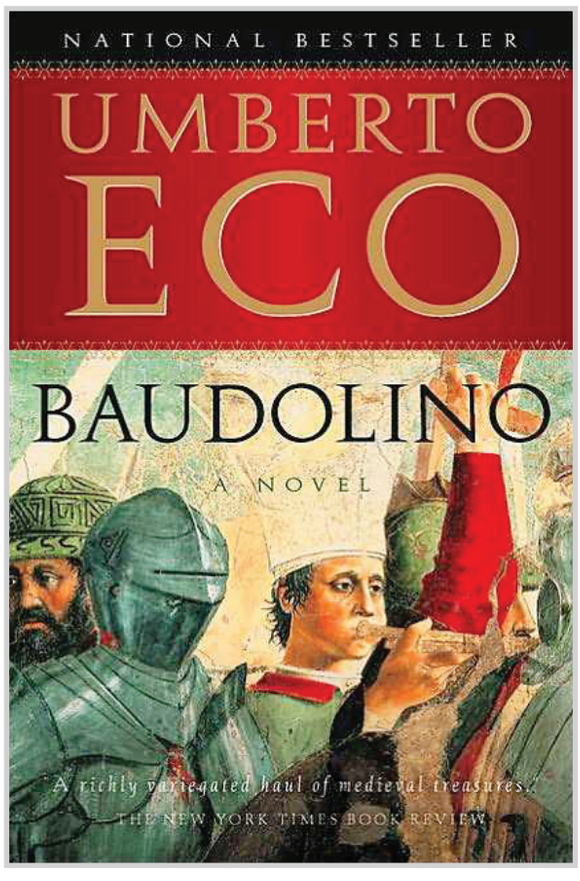

دوريـــــات

سركون بولص في «كلاويز الجديد»

بشار عليوي

عن مركز كلاويز الأدبي والثقافي في السليمانية، صدر حديثاً العدد رقم (٢١) من مجلة «كلاويز نوى- كلاويز الجديد»، وهي مجلة فصلية أدبية وثقافية، وجاء هذا العدد حافلاً بالعديد من الدراسات والمقالات والنصوص، ففي البدء نطالع افتتاحية العدد لرئيس التحرير التي جاءت تحت عنوان (دمعة من أجل حجلنامه).

وفي محور (دراسات ومقالات) نطالع مقالة حملت عنوان «التماثل في مجال الأساطير والعقائد» بقلم الناقد جاسم عاصي، ودراسة «الحلم الفلسفي في الشعر الكُردي.. هزرفان إنموذجاً» بقلم عبد الكريم يحيى الزيباري.

ونقرأ دراسة نقدية تعنونت بـ(المتن وشكل الخطاب المسرحي) بقلم يوسف يوسف، ونقرأ أيضاً «المُنجز الدلالي للقصة المعاصرة» بقلم رحاب حسين الصائغ، وتضمنَ العدد ملفاً عن الشاعر العراقي الراحل (سركون بولص)، حيث نشرت المجلة عدة محاور منها مقالة بعنوان (رحلة مع سركون بولص.. رحيل من الشعر وإليه) بقلم محمد الحارثي.

وكتب خالد المعالي موضوعاً جاء تحت عنوان (ذكريات صغيرة عن سركون بولص)، فيما كتب الناقد د. مالك المُطلبي (سركون بولص استدعاء للماضي)، ونُطالع أيضاً في الملف ذاته، دراسة بعنوان (التجليات الكركوكية في البساتين السركونية) بقلم فاروق مُصطفى، ونقرأ أيضاً (حداثة سركون بولص.. مُقاربة في النقد الثقافي) بقلم أ.د.محمد صابر عبيد.

فيما كتبت ديمة الشكر (سركون بولص شاعر المنفى الوجودي)، وفي محور حوارات/ نُطالع حواراً مع الشاعر والناقد علي حسن الفواز، اجراه محمد سالار البرزنجي، أما في محور (نصوص) فنطالع قصيدة من الشعر الكردي المعاصر للشاعر طيب جبار ترجمة عبد الله طاهر البرزنجي حيث جاءت تحت عنوان (يوم أموت)، وهناك قصة للشاعرة لمياء الألوسي تعنونت بـ(على مسافة الرغبات).

ونطالع أيضاً قصة «صنف آخر من الموتى» لمحمد محمود بشار، وأيضاً نقرأ للروائي سعيد حاشوش رواية (لا أحد يشبه المسيح)، وفي محور (كتابات) نقرأ «مدينة اله القمر» بقلم تمارا غرين، ترجمة عبد الرزاق محمود القيسي و«نسخ تقاليد الجهل- كُردستان إنموذجاً» بقلم سامي داوود، و(تبلور الوعي القومي لدى الكُرد) بقلم عبد الرزاق محمود القيسي، و(بُنية الحركة وحركية البناء في قصيدة «الغريق» للشاعر عباس مجيد) بقلم إبراهيم مصطفى الحمد.

وفي محور (أقواس) نقرأ عرضاً لكتاب (أزهار الليل- قصص مُختارة من الأدب الكُردي الحديث) بقلم الشاعرة رحاب الصائغ، و(فاضل كريم أحمد.. فراديس الشعر) بقلم د.نورس يوسف، و(قضية طلعت باشا) بقلم محمد عيسى.

يذكر إن هيأة تحرير مجلة «كلاويز نوى» تضم كلاً من (الأديب عبد الله طاهر البرزنجي-رئيساً للتحرير/ صلاح محمد-سكرتيراً للتحرير/ سامي هادي- محي الدين محمود- غسان نعسان/ أعضاءاً).